٥ ـ الانتحار

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

قال المسيَّبُ بنُ رافع : وأطرق الناسُ قليلاً بعد خبرِ (أبي محمد البصْرى) ؛ إذ كان كلٌّ منهم قد جمعَ بالَه لِما سمع ، وأخذ يَحْدِسُ في نفسه ويراجعُها الرأى ؛ وكان المجلسُ قد امتدَّ بنا منذ العصر وما يكاد النهارُ يُشْعِرُنا بإدباره ، حتى اعترضَتْ في شمسه الغُبرةُ التي تعتريها إذا دَنتْ أن تَغْرُب . وكان الى يسارى فتًى ريّانُ الشباب ، حسَنُ الصورة ، وضيءٌ مُشرِقٌ له هيئةٌ وسمْت ، أقبلَ على الأيام وأقبلت الايامُ عليه

فسمعنى أطِنُّ على أذن (مجاهدٍ الأزْدى) ؛ وكنت أعرفُه شاعراً في كلامه وشاعراً في قلبه ؛ فقلت له : إنه لم يبقَ من النهار يا مجاهد إلا مثلُ صبرِ المحبِّ دَنا له الموْعد ؛ ولم يبقَ من الشمس إلا مثلُ ما تلفف صاحبتُه ، تأخذُ عليها ثوبَها وغلائلَها ولكن بعد أن تُسقِطها من هنا ومن هنا ، لترى جمالَ جسمِها هنا وهنا !

فاهتزَّ الفتى لهذه الكلمات وسالت الرقّةُ في أعطافه وقال : يا عمّ ، أما ترى ما بقى من النهار كأنه وجهُ باكٍ مَسَحَ دموعه وليس حوله إلا كآبةُ الزمن ؟

قلت : كأن لك خبراً يا فتى ، فان كان شأنُك مما نحن فيه فقُصَّه علينا وعَلِّلْنا به سائرَ الوقت الى أن تجِبَ الشمس ، ولعلك طائرٌ بنا طَيرةً فوق الدنيا

قال : فَمَهْ ؟

قلت : تقومُ فتتكلّم ، فانى أرى لك لساناً وبياناً

قال : أو يحسُن أن أتكلم في المسجد عن صَرْعةِ الحب وصريعه ، وعاشقةٍ وعاشق ؟

فبادر مجاهدٌ فقال : ويحك يا فتى ! لقد تحجّرْتَ واسعاً ؛ إن المؤمن ليصلّى بين يدى اللهِ وكتابُ سيئاته في عنقه منشورٌ مقروء . وهل أوقاتُ الصلاة إلا ساعاتٌ قلبيّة لكلّ يومٍ من الزمن ، تأتى الساعةُ مما قبلها كما تأتى توبةُ القلب مما عملَ الجسم ؟ إنما يتلقّى المسجدُ من يدخلُه لساعته التي يدخله فيها ، ولو أنه حاسَبه عن أمسٍ وأوّلَ منه وما خلا من قبل ، لطردَه من العتَبة ! إن المسجد يا بنىّ إنما يقول لداخلِه : أُدخلْ في زمنى ودَعْ زمنك ، وتعالَ الىّ أيها الانسانُ الأرضى ، لتتحقّق أن فيك حاسّةً من السماء ، وجئنى بقلبك وفكرك ، ليشمُرا ساعةً أنهما فيَّ لا فيك . ولسنا الآن يا بنىّ في مُتحدَّثٍ كنَدِىِّ القوم يتطارحون فيه أخبارَهم ، بل نحن في مجلسِ علمٍ تكلمتْ فيه رقبةُ هذا ورقبةُ هذا بما سمعت ؛ فقُم أنتَ فاذكُرْ عِلمَ قلبِك وقُصَّ علينا خبرَ طيشِ الحبِّ والشباب الذى يُشبهُ الكلامُ فيه أن يكون كلاماً عن الصعود الى القمر والقبضِ من هناك على البرق !

* * *

قال المسيّب : فانتهضَ الفتى ، ورأيت مجاهداً يتنهّد كأنما انصدعت كَبِدُه ؛ فقلت : ما بالُك ؟ قال : إن شبابى قد مرّ علىّ الساعةَ فنسمتُ منه في بُرْدَةِ هذا الفتى ، ثم فقدْتُه فقداً ثانياً فهرِمتُ هَرَماً ثانياً ، وجاءنى الحزنُ من إحساسى بأنى شيخ حزْنَ مَن همّ أن يدخل بابَ حبيبٍ ثم رُدّ . . . !

وتحدّث الفتى ، فاذا هو يُديرُ بين فكّيه لسان شاعرٍ عظيم ، يتكلم كلامَه بنفسَين : إحداهما بَشريةٌ تصنع المعنى واللفظ ، والأخرى عُلويةٌ تُلقِى فيها النارَ والنور

قال : إن لى قصةً أيها الشيخ ، لم يبقَ منها إلا الكلامُ الذى دُفِنتْ فيه معانيها ؛ وقد تأتى القصةُ من أخبار القلب مُفعمةً بالآلام والأحزان ، لا يُراد بآلامها وأحزانها إلا إيجادُ أخلاقٍ للقلب يعيش بها ويتبدّل . والذى قُدِّر عليه الحبُّ لا يكون قد أحبَّ غيرَه أكثرَ مما يكون قد تعلم كيف ينسى نفسَه في غيره ، وهذه كما هى أعلى درجاتِ الحبِّ — فهى أعلى مراتب الاحسان

ومتى صدق المرءُ في حبّه كانت فكرتُه فكرتين : إحداهما فكرةٌ والأخرى عقيدةٌ تجعل هذه الفكرةَ ثابتةً لا تتغيّر ؛ وهذه كما هى طبيعةُ الحب فهى طبيعة الدِّين

ولا شىءَ في الدنيا غيرُ الحب يستطيع أن ينقُل الى الدنيا ناراً صغيرة وجنة صغيرةً ، بقدْرِ ما يكفى عذابَ نفسٍ واحدةٍ

أو نعيمَها ! وهذه حالة فوق البشرية

والفضائلُ عامّتُها تعمل في نقل الانسان من حيوانيته ، وقد لا تنقل إلا أقلّه ويبقى في الحيوانيّة أكثرُه ؛ ولكن الحبّ الصادقَ يقتلع الانسانَ من حيوانيته بمرّةٍ واحدة ، بَيْدَ أنه لا يكون كذلك إلا إذا قتلَه بآلامه ؛ فهو كأعلى النُّسْكِ والعبادة

كان من خَبَري أني دُعيتُ يوماً إلى ما يُدْعى لمثلِه الشباب في مجلس غناءٍ وشراب يا لَهُ من مجلس ! وقد قال تعالى : «إن اللهَ لا يَسْتَحيي أن يَضربَ مثلاً ما بَعُوضةً فما فوقَها» والبعوضةُ في قصتي أنا كانت امرأة نصرانيّة . . . قَيْنَةُ فلان المغنّية الحاذقة المحْسِنة المتأدّبة ، تحفَظ الخبرَ وتروي الشعر ، وتتكلم بألفاظٍ فيها حلاوةُ وجهها ، وتخلُقُ النكتةَ إذا شاءت خلقَ الزهرة المتفتّحة عليها سقيطُ الندى ؛ وتجِدُّ بالحديث ما شاءتْ وتَهْزِل ، فتجمل للكلام عقلاً وشهوة تُضاعفُ بهما مَن تحدّثه في شهواته وعقلِه !

وستجري في قصتها ألفاظُ القصةِ نفسِها ، لا أتأثَّمُ من ذلك ولا أتذمّم ؛ فقد ذكر اللهُ الخمرَ بلفظ الخمر ولم يَقُل : « الماء الذي فيه السُّكْر » ، ووصَفَ الشيطانَ ولم يقل : « الملَك الذي عمِل عملَ المرأة الحسناء في تكبرها » ، وذكر الأصنامَ بأنها الأصنام ولم يُسمِّها : « حاملة السماء التي يصنعها الانسان بيديه » ، وحكاية ما بين الرجل والمرأة هي كلامٌ يقبِّل بعضُه بعضاً ويلتزمُ ويتعانق !

قال المسيب : فتبسم إمامُنا ونظرتْ عيناه تسألان سؤالا . أما مجاهدٌ الأزديّ فكان من هزّةِ الطرَب كأنه على قتَب بعير ، وقال : لله درُّه فتًى ، إن هذا لبيانٌ كحْلُ العين . . .

ثم قال الفتى : وذهبت الى المجلس وقد جملتْه هذه المغنيةُ من حواشيه وأطرافه كأنه تفسيرٌ لها هي . أما هي فجاءتْ تفسيراً لكلمةٍ واحدة هي : « اللذّة . . . »

قال المسيّب : وطرِب مجاهدٌ طرباً شديداً ، وسمعتُه يخافتُ بصوته يقول : « لله درُّها امرأة ، هذه ، هذه عَدُوّةُ الحور العِين ! »

ثم قال الفتى : وتطرّبَ جماعةُ أهلِ المجلس الى الشرب ، وما ذقتُ خمراً قطّ ، ولن أذوقَها ولو شربها الناسُ جميعاً ، ولن أذوقَها ولو انقطع الغيثُ ولم تمطر السماء إلا خمراً ؛ فاني مذ كنت يافعاً رأيتُ أبي يشربها ، وكانت أمي تلومه فيها وتشتد في تعنيفه وتحتدِم ، وكانا يتشاحنان فينالُها بالأذى ويَتَدَرَّى عليها بالسبِّ وفُحْشِ القول . وسَكِر مرة وغلبه السكر حتى ثارت أحشاؤه فَذَرَعَه القَيْءُ فتوهّمني وعاء ، وجاء اليّ وأنا جالسٌ فأمسك بي وقاءَ في حجري ، حتى أفرغ جوفَه ؛ وثارت أمّي لتنتزعه وأنشأتْ تعالجه عني فتصارعَ جنونه وعقلها حتى كفأتْه على وجهه كالاناء ؛ فالتوى كالحيّة بطناً لظهر واستجمع كالقنفذ في شوكه ، ثم لكزَها برجله أسفل بطنها فانقلبت ، وأصاب رأسها إجّانة (1) العجين فتلم تلمَ الاناء كأنما شدخ ضرباً بحجر ، وانتثر دماغها على الأرض أمامَ عينيّ ، ورأيتها لم تزد على أن دَفَعتْ بإحدى يديها في الهواء وضمت بالأخرى الى صدرِها ، تتوهم أنها تحميني وتدفعه ، ثم سكنتْ ولو لم تمُت من الشجّةِ في رأسها لماتتْ من الضربة في بطنها !

* * *

قال المسيّب : وأطرق الفتى هُنيهةً وأطرق الناسُ معه ؛ فرفع مجاهد صوتَه وقال : رحمها الله ! فقال الناس جميعاً : رحمها الله !

ثم قال الفتى : وكان عامّةُ مَن في المجلس يعرفون ذلك مني ، ويعرفون أنه لو ساغ لانسانٍ أن يشربَ دمَ أمِّه ما شربتُ أنا الخمر . فقالوا للمغنّية : إن هذا لا يدخلُ في ديواننا (2) . فنظرتْ إليّ ، وهربْتُ أنا من نظرتها باطراقة ؛ ثم قالت : تشربُ على وجهي ؟ فقلتُ لها : إن وجهك يقول لي : لا تشرب . . . فتضاحكتْ وقالت : أهو يقول لك غيرَ ما يقول لهؤلاء ؟ فهربتُ من كلامها باطراقةٍ أخرى ، ووَصَلتِ الاطراقتان ما بيني وبين قلبها ؛ وتنبه فيها مثلُ حنوّ الأمّ على طفلها إذا آذته بلسانها فأطرق ساكتاً يشكوها إلى قلبها !

والتفتتْ لمن حضر وقالتْ لهم : لستُ أطيب لكم ولا تنتفعون بي الا أن تشربوا لي ولهُ ولأنفسكم ، وانحطّ عليهم

(1) هي ما يعجن فيه العجين وتغسل فيه الثياب ، وقد يوضع فيها الماء ليتوضأ منه ، وتتخذ من حجر أو خزف أو غيرها

(2) تعبير قديم كانوا يريدون به الشرب كأنه ديوان ملك

الساق ، فشربوا أرطالاً وأرطالاً ، وهى بين ذلك تتبسم وقد أقبلتْ عليهم وخلا وجهها لهم من دُونى وإنما تخالسنى النظرةَ بعد النظرة

فوسوسَ لى شيطانى أن تَشدَّدْ مع هـذه بمثل عَزمتِكَ مع الخمر . ولكنى كنتُ أُحِدُّ النظرَ اليها ، فمرّةً أُوامقُها نظرةَ المحبِّ للحبيب ؛ وكأنى بذلك كنت آخذُها وأدَعُها ، وأصِلُها وأهجرها . فقالت لى كالمُنكِرة علىّ : مابالك تنظر إلىّ هكذا ! ولكن هيئةَ وجهها جعلتْ المعنى : لا تنظر إلىّ إلا هكذا . . . !

وأسرع الشرابُ فى القوم وأفرط عليهم السُّكر ؛ فبقيت لى وحدى وبقيتُ لها وحدها ؛ ثم تناولت عودَها وضمته إليها ضماً شديداً أكثرَ من الضمّ . . . وألمسته صدرَها ونهديها ، ثم رنَت إلىّ بعينى ، فما شككتُ أنها ضمةٌ لى أنا والعود ؛ ثم غنّتْ هذا الصوت :

ألا قاتلَ اللهُ الحمامةَ غُـدوةً
على الغصن ؛ ماذا هيّجتْ حين غنتِ ؟
فما سكتت حتى أويتُ لصوتِها ،
وقلتُ : تُرى هذى الحمامةُ جُنتِ ؟

* * *

وما وجْدُ أعرابيةٍ قَذفتْ بها
صُروفُ النوى من حيث لم تكُ ظنتِ . . .
إذا ذكرتْ ماءَ العِضاهِ وطيبَه ،
وبرْدَ الحمى من بَطنِ خبْتٍ ، أرنَّتِ . . .
بأكثرَ منى لوعـةً ، غيرَ أننى
أُجَمجِمُ أحشـائى على ما أجنتِ !

وغنَّته غِناءً من قلبٍ يئنّ ، وصدرٍ يتنهّد ، وأحشاءٍ لا تخفى ماأجنتْ ؛ وكانت ترتفع بالصوت ثم كأنما يهمى الدمعُ على صوتها ، فيرتَعش ويتنزّل قليلاً قليلاً حتى يئنّ أنينَ الباكية ؛ ثم يتلجلج فى صدرها مع الحب ، فيتردّد عالياً ونازلاً ، ثم يرفضُّ الكلامُ فى آخره دموعاً تجرى

* * *

قال السيّب : فنظر إلىّ مجاهد وقال : عدُوّةُ الجنة والله هذه يا أبا محمد ، لاتقبل الجنةُ من يكون معها . تقول له : كنتَ مع عدُوّتى !

ثم قال الفتى : وكان القوم قد انتشوْا ، فاعتراهم نصفُ النوم وبقى نصفُ اليقظةِ فى حواسّهم ، فكلُّ ما رأوْه منا رأوه كأحلام لاوجود لها إلا خلف أجفانهم المُثقلة سكراً ونعاساً . ووثبتْ المغنيةُ فجاءت إلى جانبى والتصقتْ بى ، وأسرع الشيطانُ فوسوسَ لى : أن احذر فانك رجلُ صِدق ، وإذا صدقت فى الخمر فلا تكذبنّ فى هذه ، ولئن مَسستَها إنها لضَياعُكَ آخِرَ الدهر !

فعجبتُ أشدَّ العجب أن يكون شيطانى أسلم وأُعِنتُ عليه كما أُعين الانبياءُ على شياطينهم . ولكن اللعينَ مضى يصُدُّنى عن المرأةِ دون معانيها ، وكان بى كالذى يُدنى الماءَ من عينى القتيل المتلهبِ جوفُه ثم يجعله دائماً فوتَ فيه ، ولقد كنتُ من الفُحولةِ بحيث يبدو لى من شدةِ الفورةِ فى دمى وشبابى أن أجمع فى جسمى رجالاً عدّة ، ولكن ضربنى الشيطانُ بالخجل فلم أستطع أن أكون رجلاً مع هذه المرأة

وعجبتْ هى لذلك وما أسرع ما نطق الشيطانُ على لسانها بالموعظة الحسنة ...! فقالت :لقد أحببتُك ما لم أُحِبّ أحداً ، وأحببتُ خجلك أكثر منك ، فما يسرُّنى أن تأثم فىّ فتدخلَ النارَ بحبى ، ولو أنك ابتعتنى من مولاى ؟ فقلت : بكم اشتراكِ ؟ قالت : بألف دينار ! قلت : وأين هى منى وأنا لو بعت نفسى ما حصّلتْ لى ؟

فتمّ الشيطانُ موعظتَه وقالت : إن قلبى قبلَك غنياً كنتَ أو فقيراً ، وأحسّ بك وحدك حُبَّ العذراء أوّلَ ما تُحِبّ ، وأنا ـ كما ترانى ـ أعيش فى السيئات كالمُكرهةِ عليها ، فسأعمل على أن تكون أنت حسنتى عند الله ، أذهب اليه حاملةً فى قلبى حُبى إياك وعفتى عنك ، ولئن كانت عفةُ من لا يشتهى ولا يجد تعدُّ فضيلة كاملة ، إن عفة من يجد ويشتهى لتعدُّ ديناً بحاله . ولا يزال حبى بكراً ، ولا أزال فى ذلك عذراء القلب ، وهؤلاء قد نزعوا الحياءَ عنى من أجْل أنفسهم ، فألبسْنيه أنتَ من أجلك خاصة ، وإن قوة حبى الذى سيتألم بك ويتعذّب منك لطُول مايصبر عنك ، ستكون هى بعينها قوةً لفضيلتى وطهارتى

ثم تناولتْ عودها وسوّته وغنتْ :

فلو أنا على حجرٍ ذُبحْنا   جرى الدّمَيانِ بالخبر اليقين(١)

وجعلت تتأوّه فى غنائها كأنها تُذبح ذبحاً ، ثم وضعت العودَ جانباً وقالت : ما أشقانى ! إذ اتفقتْ لى ساعةُ زواجى فى غير وقتها فجاءت كالحلم يأتى بخيال الزمن فلا يكون فيه إلا خيال الأشياء

ثم سألتنى : ما بالك لم تشرب الخمر ولم تدخل فى الديوان ؟ فبدرَ شيطانى المؤمن . . . وساق فى لسانى خبرَ أمى وأبى ، فانتضحتْ عيناها باكية وتم لها رأىٌ فىَّ كرأيى أنا فى السكر ؛ وكان شيطانها بعد ذلك شيطاناً خبيثاً مع أصحابها ، وبطريقاً زاهداً معى أنا وحدى !

ورأيتها لا تجالسنى إلا متزايلة كالعذراء الخفِرة إذا انقبضتْ وغطت وجهها ، وصارت تخافنى لأنها تُحبنى ، وهيّبنى الشيطان اليها فمادت لا ترى فىَّ الرجلَ الذى هو تحت عينيها الشيّبتين . . . ولكن القدّيسَ الذى تحت قلبها البكر

ولم يعد جمالى هو الذى يعجبها ويصبيها ، بل كان يعجبها منى أنى صنعةُ فضيلتها التى لم تصنع شيئاً غيرى . . .

***

وانطلق الشيطانُ بعد ذلك فىَّ وفيها بدهائه وحنكته وبكلّ ما جرّب فى النساء والرجال من لدُن آدمَ وحواء إلى يومى ويومها . . . ! فكان يجذبنى اليها أشدَّ الجذب ، ويدفعها عنىَ أقوى الدفع ، ثم يُغرينى بكل رذائلها ولا يغريها هى إلا بفضائلى . وألقىَ منها فى دمى فكرةَ شهوةٍ مجنونةٍ متقلّبة ، وألقى منى فى دمها فكرةَ حكمةٍ رزينةٍ مستقرّة . وكنت ألقاها كلَّ يومٍ وأسمع غناءها ؛ فما هو بالغناء ولكنه صوتُ كلِّ ما فيها لكلِّ ما فىَّ ، حتى لو التصق جسمُها بجسمى وسارَّ البدنُ البدنَ ، وهمسَ الدمُ للدم ، لكان هو هذا الغناء الذى تغنّيه

وأصبحت كلما استقمتُ لحبها تلوّت علىَّ ؛ إذ لستُ عندها إلا الأملَ فى المغفرة والثواب ، وكأنما مُسختُ حبلاً طولُه من هنا إلى الجنة لتتعلّق به . وعاد امتناعُها منى جنوناً دينياً ما يفارقها ، فابتلانى هذا بمثل الجنون فى حبها من كلَف وشغف

وانحصرتْ نفسى فيها ، فرجعتُ معها أشدَّ غباوةً من الجاهل ينظر إلى مدّ بصره من الأفق فيحكم أن ههنا نهايةَ العالَم ، وما ههنا إلا آخرُ بصره وأولُ جهله . وانفلتَ منىَ زمامُ روحى ، وانكسر ميزان إرادتى ، واختل استواءُ فكرى ، فأصبحتُ إنساناً من النقائض المتعادية أجمعُ اليقينَ والشكَّ فيه ، والحبَّ والبغض له ، والأمل والخيبةَ منه ، والرغبةَ والعزوفَ عنها . وفى أقل من هذا يُختطفُ العقل ، ويتدلّه من يتدله

ثم ابتليتُ مع هذا اللمم بجنون الغيظ من ابتذالها لأصحابها وعفتها معى ، فكنتُ أتطاير قطعاً بين السماء والأرض ، وأجدُ عليها وأتنكّرُ لها ، وهى فى كل ذلك لا تزيدنى على حالةٍ واحدة من الرهبانيّة ؛ فكان يطير بعقلى أن أرى جسمها ناراً مشتعلة ، ثم إذا أنا رمتُه استحال ثلجاً . وقرّحت الغيرةُ قلبى وفتّتت كبدى من عابدةِ الشيطان مع الجميع ، الراهبةِ مع رجلٍ واحدٍ فقط . . . . !

ورجعتْ خواطرى فيها مما يُعقل وما لا يعقل ؛ فكنتُ أرى بعضها كأنه راجعٌ من سفرٍ طويل عن حبيب فى آخر الدنيا ، وبعضها كأنه خارجٌ من دار حبيبٍ فى جوارى ، وبعضها كأنه ذاهبٌ بى الى المارستان . . . !

ورأيتنا كأننا فى عالَمين لا صلة بينهما ونحن معاً قلباً الى قلب ، فذهبَ هذا بالبقية التى بقيت من عقلى ؛ ولم أرَ لى منجاةً إلا فى قتلِ نفسى لأزهق هذا الوحشَ الذى فيها

وذهبتُ فابتعتُ شعيرات من السمِّ الوَحِىِّ الذى يُعجلُ بالقتل ، وأخذتها فى كفى وهممتُ أن أقمحها وأبتلعها ، فذكرت أمى ، فظهرتَ لخيالى مشدوخةَ الرأسِ فى هيئة موتها ، والى جانبها هذه المرأةُ فى هيئة جمالها ، وثبتتْ على عينى هذه الرؤيا ، وأدمنتُ النظر فيها طويلاً فاذا أنا رجلٌ آخرُ غيرُ الأوّل ، وإذا المرأةُ غيرُ تلك ، وطفئتْ عبرةُ الموت على شهوةِ الحياة فمحتها ، وصحَّ عندى من يومئذٍ أن لا علاج من هذا الحبِّ إلا أن تُقرَن فى النفس صورةُ امرأةٍ ميتة الى صورة المرأةِ الحيّة ، وكلما ذُكرتْ هذه جىءَ لها بتلك ، فاذا استمر ذلك فان الميّتة تُميتها فى النفس وتُميت الشهوةَ اليها ، ما من ذلك بُدّ ، فليجربه من شك فيه

(١) كانت العرب تزعم أنه إذا قتل اثنان جرى دماهما على طريق واحد ثم التقيا ، حكم عليهما أنهما كانا متحابين ، فان لم يلتقيا حكم عليهما أنهما كانا متشانئين . وما أجملها خرافة وأشعرها

وانفتح لي رأيٌ عجيب، فجلستُ أتأمل كيف آمن شيطاني ثم كَفَر بَعدُ، على أن شيطانها هي كَفَر في الأول ثم آمن في الآخر؟ فوالله ما كنتُ إلا غبياً خامدَ الفطنة إذ لم يَسِخ لي الصواب حتى كدت أزهق نفسي وأخسر الدنيا والآخرة؛ فإن الشيطان — لعنه الله — إنما ردّني عن الفاحشة وهي ذنب واحد ليرميني بعدها في الذنوب كلها بالموت على الكفر!

وردّ إليّ هذا الخاطرُ ما عَزَبَ من عقلي؛ ومَن ابتُلِيَ ببلاءٍ شديد زلزل يقينه ثم أبصر اليقين، جاء منه شخص كأنما خُلِقَ لساعته؛ فلعنتُ شيطاني واستعذتُ بالله من مكرِه، وألقيت السمّ في التراب وغيّبته فيه، وقلتُ لنفسي: ويحك يا نفس! إن الحياة تعمل عملاً بالحي، أفترضين أن تعمل الحياةُ بأبطالها وبجالها ما عرفتِ وما علمتِ، ثم يكون عملها بك أنت القعودَ ناحية والبكاءَ على امرأة؟

أيتها النفس، ماالفرق بين سرقة لحم من دكان قصاب، وبين سرقة لحم امرأة من دار أبيها، أو زوجها، أو مولاها . . . ؟

أيتها النفس، إن إيمانَ أسلافنا معنا؛ إن الاسلام في المسلم

* * *

قال المسيّب: وهنا طاش مجاهد واستخفه الطرب، فصاح صيحةَ النصر: الله أكبر! وجاوبه أهلُ المسجد في صيحةٍ واحدة: الله أكبر! ولم يكد يهتف بها الناس حتى ارتفعت صيحة المؤذّن لصلاة المغرب. الله أكبر . . .

«انتهى المجلس، وبقيت لحديث المسيب بقية»

(طنطا) مصطفى صادق الرافعي

رجاء — أرجو ممن كتب الي بتوقيع (مسلم) أن يتخذ عنواناً أخاطبه به ولو اسما مستعاراً في شباك البريد لأكتب له كتاباً خاصاً؟ الرافعي

سبيل المدنية

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

رآني مرةً صاحبٌ لي آكل لحماً نيئاً، فاستغرب، وسألني عنه كيف أجده؟ قلت: أطيب ما يكون، فأبى أن يصدّق، وذهب يكابر، وجعل يسأل: «كيف تستطيبه وهو نيّء؟»

قلت: «يا أخي إن المسألة ليست مسألة منطق وجدل، وإنما هي مسألة طعام، فخذ منه وذق، وانظر بعد ذلك كيف تجده، ثم إنه لا شك أخف على المعدة وهي أقدر على هضمه من اللحم الذي أنضجته النار، وأثقله ما يخلط به»

فهز رأسه منكراً، وأبى أن يجرب. ومضت أيام، فاشتهيت أن آكل كبداً نيئة، فصارت الخادمة بعد ذلك تعلن الخوف مني ولا تخفيه، وتغلق عليها الأبواب حين تنام، كأنما خشيت أن آكلها حية، ثم لم تطق صبراً فتركت البيت، وتحدثت إلى الخدم بأني «غول» فتعذر عليه أن يقنع غيرها بالعمل في بيتي، فجئت بواحدة من الريف

ويخيل إليّ أن المدنية تضعفنا من حيث ترقينا، وتشيع في نفوسنا روح الأنوثة، فتزداد عليها رقة وتطريا، ولا تزداد قوة وقدرة على المقاومة. فنحن مثلاً نقاوم البرد بالثياب لا بأجسامنا وما فيها من المناعة الطبيعية التي تستفاد من التجرد، ولا يستطيع الواحد منا أن يخطو عشر خطوات بقدم حافية، وما أكثر ما تسمع الأم تحذر ابنها أن يمشي حافياً حتى في البيت مخافة أن يصيبه أذى من الرطوبة أو نحوها. والخبز يوضع على المائدة في طبق حتى لا يمس السفرة، والأشواك والسكاكين والملاعق توضع مستندة إلى قطع من الزجاج أو المعدن ترفع أطرافها، وهكذا في كل شيء، ولكن القطة مثلاً تعمد إلى كوم الزبالة فتنبشه وتأكل ما تجد فيه من فتات الخبز أو غيره، والكلب يقضم العظام مخلوطة بالتراب فلا يصاب بسوء ولا تعروه حمى، وينام تحت عين الشمس فلا تضربه، وإذا جاء الشتاء لم يتخذ لحافاً ولا شبهه. وحدثني طبيب يعمل في الريف انهم قلما يعنون بتطهير أدوات الجراحة في مستشفيات القرى

مجموعات الرسالة
سجل للأدب الحديث، ودائرة معارف عامة
ثمن مجموعة السنة الأولى مجلدة ٣٠ قرشاً
ثمن مجموعة السنة الثانية (المجلد الأول والمجلد الثاني) ٧٠ قرشاً
كل ثمن مجلد من المجلدات الثلاثة خارج القطر ٥٠ قرشاً